تصميم الغلاف و موك اب :
مريم حسين
مجموعة قصصية
وداع
على أمل اللقاء
حنان حزام
حنان حزام
دار فضاء المعرفة للنشر الإلكتروني
MARAH IBRAHIM SALOUM

مجموعة قصصية
وداع
على أمل اللقاء
حنان حزام
Designed by: mariam hussein

كتاب :

وداع على أمل اللقاء

تأليف :

حنان حزام

من إصدارات دار فضاء المعرفة للنشر الإلكتروني
المجموعة القصصية :
وداع على أمل اللقاء
_تأليف:
حنان حزام
_تنسيق داخلي :
أستاذة /مرح إبراهيم سلوم
تصميم الغلاف وموكاب :
مريم حسين
_مع دار فضاء المعرفة للنشر الإلكتروني
حلمك يصبح على أرض الواقع .

المقدمة :

كالسرابِ المنفى هو لقائنا
كلما تفانتَ بنا الأُيام
يبقى اللقاءُ أملاً
يسكنُ بحوراً يعتريها الشك
يُزَف للزمان ويضمد الأحزان
على أمل اللقَاء يوماً ...

إهداء :

إلى أول من نطق لسانى اسمهما
أمى وأبى
والسلام لقلبكما

وداع على أمل اللقاء...

أهكذا تطوى صفحة صداقتنا؟

أهكذا تُسحق صداقتنا الجميلة الرائعة تحت قدم المنيّة يا جميلتي؟...
،وتصبح صداقتنا ذكريات دامية وحزينة ندوّنها بدموع أليمة ويدٍ مرتجفة على صفحاتنا.

أهكذا ترحل أيامنا سارقة منا أحلامنا فجأة كما رحلتي يا صديقتي ورفيقة دربي وسرقك مني ذاك المرض اللعين الذي يدعى السرطان، ذات ليلة باردة ومظلمة وكأن النجوم فيها آفلّت والقمر حزنا عليك يا نورا كان يضيئ دربي وفكري...

لقد عشنا يوما رائعا في المكتبة وقد طوّقتنا الكتب وسكرنا برائحتها وشذى الكلمات الساحرة، فنحن منذ البداية جمعنا عشق الأدب وحب المطالعة والكتابة، جمعنا فضول البحث عن إجابات لتساؤلاتنا التي تكاد لا تنتهي عن الوجود والحب والانسان، أذكر أنك قلتي لي ذات مرة وأنت تضحكين كعادتك يوما ما سنؤسس معا مدرسة ونطلق عليها مدرسة الكتابة اللا عادية أو مدرسة الكتابة غير الواقعية، وضحكت حينها لأسمائك الغريبة، هكذا أنت دائما تمقتين الواقع وتعشقين التناقض، ودائما ما كنت ألاحظ طباعك هذه وعندما أسألك تجيبين الإجابة نفسها في كل مرة"الحياة كلّها تناقضات يا رفيقتي كل شيء يسير معاكسا لنا دائما"، بطبيعة الحال، كيف لا تمقتين الواقع والحياة معا بداخلك مرض يفتك أعضائك، ويأكل أيامك ويؤلم روحك الجميلة، ورفم كل هذا لم تتخل عن هوايتك المفضلة، لم تترك الكتابة المطالعة يوما...

فحتى في أيامك الأخيرة وقد بدأ المرض يصل منتهاه والتعب باد عليك كنت تذهبين معي إلى المكتبة ونجلس معا ونزيّن طاولتنا المستديرة ذات الحجم الكبير بكلماتجبران خليل جبران ومي زيادة وأجاثا كريستي، وننغمس أحيانا في خيال أرض زيكولا بأجزائها وغيرها كثير.

هكذا كانت تمضي أيامنا بعد تخرجنا من الجامعة وكل يوم تودعينني بنظرات حزينة وكأنها آخر نظراتك، بينما كنت أنا أودعك دائما على أملٍ في لقاءك وتتجدد لقاءاتنا كل يوم إلى أن جاء ذاك اليومَ اللّعين، فخرجتي من المكتبة محملةً في سيارة الاسعاف متجهين بك إلى المستشفى وأتت الليلة المشؤومة.كنت في المنزل بحكم أنني لا أستطيع البقاء ليلا في المستشفى، لم أكن نائمة، كنت أقف بجانب النافذة أنظر إلى حلكة الليل وأتأمل السماء وهي مظلمة، لا وجود للنجوم ولا للقمر، كانت ليلة باردة وأعاصير الرّياح تحرك أغصان الأشجار بقوة عنيفة، فتهتز أوراقها وتصدر صوت الخشخشة، وكأن الأشجار تنفث غضبها في أغصانها أوراقها فتتأوه ألما، أتأملها وكأني أبثها أنا أيضا وجع قلبي عليك يا صديقتي ...

، أقف وأنا هشّة تذكروني الرياح بكل اتجاه، كيف لا وسندي مسطح لا حول ولا قوة له، كنتي سندي فكيف أقف ثابتة بدونك يا جميلتي، وكيف ستتزن خطواتي وأنت لست بجانبي.
رنّ الهاتف اللّعين،أجبت فإذا هي الممرضة التي أعطيتها رقمي... تخبرني عن حالتها إذا حدث شيء ما، ووقع الخبر كالصاعقة على رأسي وسال على قلبي كالمهل، أحسست بالانهيار وسقطت أرضا، شعرت أنني أصرخ وجعا ولكن دون صوت، لم أستطع البكاء مازلت في صدمة، ولا أعلم إلى يومنا هذا كيف مضت تلك الليلة ولا أيام العزاء، لا اتذكر منها شيئا وكأن ذاكرتي تأبى رحيلك وتأبي حتى أن تقبل عزائك.

رحلتي يا جميلتي ولم نؤسس معا مدرستنا الاعادية في الكتابة، رحلتي ولم يأتي" يوما ما".
جميلة الصداقة التي جمعتنا يا مؤنستي، إنها فريدة من نوعها، فكيف أبكيكي وبأيِّ الكلمات سوف أرثيكي.
رحلتي وتركتي في فؤادي لوعة لن تنطفئ أبدا، تركتني وحيدة، وحدها الكتابة تؤنس روحي بعدك لأنها تذكرني بك والشيء الجميل الذي جمعنا،. وحدها الكتابة تعزيني فيك يا جميلتي، لن أنساك، سأعيش دوما على ذكراك يا جميلتي، يا أروع قصة كتبتها الصّداقة وختمها القدر بنهاية حزينة وجعل الدموع والآهات غلافا لها.
عشت دوما على أمل لقاءك كل يوم
وها أنا اليوم أعيش ألم فراقك يا جميلتي وصديقة العمر.

لقاء بلا موعد...

لا أعلم لماذا دائما ترتب الأيام اللقاءات الجميلة متأخرة؟ ، ترتبها بعد أن اضمحل الحلم واشتعل لهيب الحزن في الفؤاد وصار رمادا.
كيف نلتقي... بعد أن غرّبتنا مسافات السنين وكل هذا الزمن الطويل المعبأ بالألم والعبارات ترانيم النسيان؟

كان مساء جميلا وغير عاديّا، شعرت بذلك وكأنّني أول مرة أعيش مساء بهذا السرور والراحة، كان الجو حارّا والشمس ساطعة في ساحة الجامعة، والأشجار الوارفة يجلس تحتها الطلاب والطالبات احتماء بظلّها، وكم كنت أعشق فصل الصيف، يعجبني الهدوء الذي أجده فيه وصوت العصافير وهي تتطاير على الأشجار كأنها ترقص فرحا مع أشعة الشمس، خرجنا من حصة المحاضرةبعد مرورها كلمح البصر، الاستاذ الذي يدرسنا مقياس البلاغة أستاذا رائعا مرحا بشوشا، كنت أعشق حصته لأنه بهذه المواصفات،مما يجعلك لا تمل الدرس ولا تسأمالحضور، دائما ما يحكي لنا حكايات مضحكة أثناء الشرح فتجد الكل منتبه لشرحه وحكاياته.

كانت صديقتي تمسك بذراعي أثناء خرجنا إلى الساحة، نثرثر ونتبادل الضحكات والتعليقات كلما حاول أحدهم جلب انتبهنا. قالت صديقتي:

-ما رأيك أن نذهب لنتسوق قليلا لعلي أقتني بعض الكتب من المكتبة التي فتحت مؤخرا؟.

-حسنا،فلنذهب إذا،مادام الاستاذ لن يأتي في هذه الحصة، ثم نعود إلى الجامعة.

-حسنا، فلنذهب مشيًّا،أريد ان أتمشى قليلا فقد صرا مثل العجوز بسبب قلة الحركة.

وضحكنا معا ككل مرة على كلامها الذي تجده غريبا ومضحكا، وخرجنا من الجامعة متجهين إلى المكتبة التي تبعد جامعتنا بمسافة ليست كبيرة، وفي طريقنا أحسست بهدوء داخلي غريب، شعور لم أشعر به من قبل، هدوء ينبأ بحدوث أمر رهيب، وبدأت يداي تتعرق وقد أحسّت صديقتي ميساء بذلك لأنها كانت تمسك يدي، فسألتني ضاحكة:

غادة، مابك؟

بدأت يدك تتعرف كما كنت سابقا عندما تكونين على موعد معه.

أجبتها ضاحكة أيضا:

-لا أدري متى ستكفين عن تذكري به في كلّ مرّة، متى ستقتنعين أنه أصبح في سرا يب النسيان؟.

تصدر صديقتي ضحكتها المستهزءة ككل مرة أكملنا الطريق، وفجأة توقفت سيارة أمامنا وقطعت طريقنا، وقفت متجمدة في مكاني وكذلك صديقتي، وأبصرت شابا ينزل منها أنيقا كما عهدته، وجهه مؤلوف في عيني وحفظه فؤا دي ذات زمن مضى.

تقدّم نحونا وهو يبتسم لي في لطف وحنان، تلك الابتسامة الساحرة التي كانت عنوان فرحي وسرّ سعادتي حتى حين أتخيله في غيابه فأبتسم.
أخذت مني الحيرة والدهشة كل مأخذ، وبقيت جامدة في ذهول، ودون وعي مني تركت ميساء وتقدّمت قليلا نحوه، وتقدّمت أنا وهرول قلبي إليه، وقد بدت المسافة الصغيرة التي تفصلني عنه أميالا لا نهاية لها.
تبادلنا التحية، صافحني بحرارة بعيون مبتسمة، تحدثنا كأن شيئا لم يكن، وكأننا افترقنا بالأمس فقط على موعد جديد، تحدّث معي كأنّه لم يخاصمنِ مرّة، ولم يجرحنِ يوما، ولم يقسُ على قلبي الذي تركه يعتصر ألما ذات يوم.
كأنّه لم يقتل حبًّا جميلا ولم يختم رواية عشق بفصل عنونه الخيبة والخذلان.

يا للقاء المدهش!!
لقاء في غير موعد
لحظات قصيرة مملوءة بنظرات الحبّ والاهتمام، لكنّها كافيّة لنسيان ثمانية سنوات من الألم والبعد الجفاء، كافيّة لكي أغرق في بحرٍ من المشاعر الفيّاضة، لحظات فقط مررت فيها بكل تدرجات المفاجئة... حيرة ثم تردد ارتباك، خفقان قلب، فرحة، لوم تحوّل الي دمع ترقرق في عيوني، ضغطّت على أنفي بأقصى قوة مخافة إن تسقط تلك الدموع المخبأة منذ وقت طويل، وكأنني أتدارك نفسي ضعفي في تلك اللحظة، صوت ما بداخلي يصرخ استفيقي أيّتها الغبيّة،إيّاك،لحظة وتمر، استفيقي...

قطع الصراخ الذي بداخلي قائلا:
-كنت مارا ورأيتك صدفة، فأردت إن أسلم عليك.
-عجيب أمر هذه الصدفة نلتقي بكل هذه البساطة بعد كل تلك السنين، الحمد للهأنّي عرفتك، قلت ذلك ضاحكة كأني أريدك.
. استفزاز بتلك الضحكة، وكأنني أريد أن أخبره أنا بخير بدونه
كيف حالك؟
-بخير وأنتَ؟ سمعت بخبر طلاقك
نعم، انفصلنا بعد عناء طويل ووجع وندم. وأنت؟
هذه فرصتي لأنتقم، هاهو القدر يضع بين يديَ فرصة من ذهب لأخرج كل ذلك اللوم والعتاب وأزفه في وجهه، ذلك الكلام الذي بقيَ في صدري يحرق فؤادي، هاهي الآن فرصتي لأشمت فيه، لأكسره كما كسر خاطري آت يوم دون رحمة.
خطر ببالي كل هذا لأفعله ثم أيقنت أنّه لم يعد يستحق.
إنّه حقا لميعد يستحق منّي كل هذا اللوم والعتاب والانتقام، يكفيها جنى من غروره.. يكفيه هذا الكفّ الذي أعطته الحياة، وبعد هذا الحديثمع نفسي أجبته:
-أنا بخير الحمد لله، احتفلنا بخطبتي منذ أشهر قليلة، وأنا الآن منشغلة تحضير المذكرة، فلم يتبق الكثير لتخرجي.
أحسست بشيء من التوتر أصابه، تغيّرت ملامح وجهه واختفت ابتسامته، وأخذ الاصرار يرسم في وجهه لوحة الحسرة والندم.
-حسنا، وفّقك اللّه ومبارك لك. ثم أردف قائلا:ألاّ يستحق حبنا فرصة أخرى؟ سأل بعد تفكير طويل ونظرات تُنِمّ بالخوف والتردد و... نظرات بائسة ومنكسرة، طرح سؤالهوهو مطأطئ الرأس. كيف لا؟ أليس سؤالا مخجل من مغرور ذو كبرياء متضخم
نظرت إليه نظرة كلّها ثقة وجرأة، بل وفيها من القسوة ما فيها. ثم قلت له:
لا يمكنني أن أكون فرصة ثانية لك، أنا دائما كما عهدتني لم أتغير،إذا لم أكن محتوى كل الصفحة فلن أقبل أن أكون في الهامش ابدا.

-ألم تشفِ من غرورك بعد يا غادة؟
-لا يمكن، إنه الشيء الوحيد الذي تعلمته منك وأفادني.
ابتسم لقولي ثم نظر في عيني ووضع يده مداعبات وجهي وقال:
إنّي أحبك،وأنا حقا أعتذر، وإذا ما قرّرت يوما أن تنفصلي عنهوتختاريني سأكون بانتظارك، ولا أظنّك لا تحفظين رقمي...

لم يترك لي مجالا للردّ عليه، وإنّما ودّعني واتجه إلى سيارته وانطلق و واراه الطريق الطويل والسيارات الكثيرة.

رجعت إلى المنزل وكلّي دهشة وذهول، أحسست بتزايد في دقات قلبي، ولا أطيق الحديث مع أحد. أنا فقط أريد البقاء لوحدي، جافاني النوم ليلتها، أرّقتني الذكريات، وكأنّما الزمن توقّف،او رجع إلى الوراء وتوقّف هناك عنده فقط،عند تلك السنوات المخضرّة والمزركشة بألوان الحبّونسمات الغرام، وألحان العشق، عند الحبّ الأول الذي دق قلبي لهمس حديثه، ورقصت عيوني فرحا على ألحان ابتسامات وضحكاته.

ونزلت برأسي تساؤلات كثيرة...، ماذا حدث؟ لماذا افترقنا؟... لماذا؟....

وعبثا كنت أبحث عن أجوبة مقنعة، ولم تكن هناك عبارات تكمل الإجابات ابدا

في الصباح لم أستطع النهوض من فراشي، ولم أكن أرغب في الخروج من غرفتي، رأسي يؤلمني وكأنني تخدرتبذلك اللقاء، بقيّت على هذا الحال لأيّام وحالتي تزداد سوءا كل يوم أكثر، يا إلهي اشتقت له، وكأن ذلك اللقاء أتى لبعث الماضي من جديد، وليبني قصة الحبّ التي هدمها الغرور والكبرياء، وهل يمكن أن نبني فوق الحطام؟ وهي يمكن أن يعود الحبّ كما كان وقلبي صار تحت الأنقاض؟ لا أبدا. لا يمكن هذا.

لا يمكن أن اعضّ اليّد التي انتشلتني من السقوطيوم كنت على شفا حفرة الموت، لا يمكن أن أخذل خطيبي فوحدي أعرف مرارة الخذلان، كيف يمكنني أن أكسر خاطره وأحطم أعشاش الأحلام التي بنيناها معا؟

أبدا لا يمكن أن أفعل هذا...

استفقت من سكرة ذلك اللقاء الّلعين، وأنا على قناعة بأن كل ما وضعه الماضي في غمده لا يمكن إحياؤه من جديد... ولا يستحق منا حتى المحاولة. وحتى لو حاولنافستكون كل محاولاتنا هباء منثورا.

اتصلت بخطيبي لأسأل عنه، فأنا لم ارد على مكالماته منذ يومين بحجة الانشغال والتعب، تحدثت معه قليلا وحددنا موعد لقاءنا، وقد أحسست براحة كبيرة بعد مكالمته، فهو شخص مرح،.

. وطيّب القلب، وحديثه يريح النفس

وخرجت متجهة إلى الجامعة بخطوات ثابتة وهادئة في الطريق الطويل الذي تكثر فيه حركة السيارات، مررت بمكان اللقاء الّلعين وأسقطت من ذاكرتي ما حدث هناك وكل الصور والأحاديث، وأكملت طريقي كأن شيئا لم يكن.

تأرجح بين الظنّ واليقين...

الجرس يدق معلنا بداية الفترة الصباحية،
التلاميذيدخلون بسرعة ويصطفّون في الساحة لأداء
تحيّة العلم بكل شموخ واعتزاز، ونشيد قسمًا يزيد
من شموخهم، ونسائم الهواء تلفح وجوههم
وتجعل العلم يرفرف عاليّا.

كان أول يوم في العمل، لقد حصلت على وظيفة أخيرا، بعد عناء طويل ومشقّة، كنت أقف في الساحة هادئة وثابتة، أتأمل التلاميذ وهم ينشدون النشيد الوطني بكل روح وطنية، وبعد ذلك بدأ التلاميذ يتجهون نحو حجراتهم وأنا أتقدّم خلفهم.

أمرتهم بالجلوس في مقاعدهم بدون فوضى واتجهت إلى مكتبي، وبدأت بتنظيم دفاتري فوق المكتب إذا بي أسمع صوت ينادِ:

أستاذة ليس لديّ مقعد، هل يمكنني أن آتي بكرسي من القسم المجاور؟

رفعت رأسي ونظرت في اتجاه الصوت المنادى، فتى أنيق المظهر، ذو عيون خضراء ألوان أوراق الأشجار في فصل الربيع، سهوت في عينيه ورحت أسبح فيهما دون وعي، هناك ذكرى استيقظت داخل تلك العيون، تلك النظرات لمست بداخلي جرحا تناسيته، بقيت جامدة، انظر دون انأحدث أي حركة، ودوم إن انطق ببنت شفة، إلى أن قطع التلميذ سهوتي بطرح سؤاله مرة ثانية:

-أستاذة أأذهب؟

-نعم، تفضل، ولا تتأخر

أجبته وانا مازلت في دهشتي، مازلت أتأمل خطواته، أيعقل؟ أيشبهه لهذا الحد؟، أأخذ منه كل هذا الشبه، عيونه، أناقته، ابتسامته، طريقة كلامه، طريقة مشييه... جلست فوق الكرسي وقد أصابني انهاك كبير، وأحسستأنّ رأسي سينفجر، لم يتأخر، لقد أخذ كرسي من القسم الآخر وعاد مسرعا وهو يقول:

-أستاذة لم أتأخر أليس كذلك؟

-نعم لم تتأخر

أجبته وانا مبتسمة

أخذت قائمة الأسماء قمت بالمناداة لأعرف أسماء التلاميذ، لأتفاجأ مرة أخرى باسمه

الآن أظن أنني عرفت سرّ ذلك الشبه، ليدخل المدير ويقطع تخميني وتفكيري، يخبرني استدعاء أولياء التلاميذ بخصوص الشعب الجديدة في المؤسسة ومساعدتهم في الاختيار.
دقّ الجرس معلنا نهاية الحصة التعارفية.
خرجت من المؤسسة وليس في رأسي شيء رخ غير ذلك التلميذ ولم أستطع النوم ليلتها، ونمت في وقت متأخر جدا. وأنا متشوقة ليوم الغد لمعرفة ورؤية وليّ ذلك التلميذ، هل يمكن أن يكون ابنه؟...
آه المنبه، الساعة السابعة لقد تأخرت، إنه يوم حاسم.
ارتديت ملابسي بسرعة، وارتشفت قهوتي بسرعة أكثر، وخرجت متجهة زلي محطة الحافلات، فأنا أعمل في منطقة تبعد عن مكان سكني بمسافة كبيرة، أحتاج أحيانا زلي ساعة من الزمن للوصول خاصة إذا تأخرت الحافلة في الانطلاق.
وصلت إلى المؤسسة بعد ساعة من الزمن تماما.
دخلت إلى قاعة الأساتذة وقد جُهزتلاستقبال الأولياء أحسن استقبال.
الحمد لله لم اتأخر كثيرا، مازال بعض الأولياء الأساتذة لم يحضروا بعد، جلست مكاني انتظر إن يكتمل العدد، ولم يمض وقت طويل حتى دخل رجل يشبه ذاك التلميذ تأكدت أنه والد ذ اك الشبه الذي شغل فكري منذ أمس، بقيت انظر إليه، وأتفحص وجهه، إنّه هو، نعم إنّه هو
نظر إليّ نظرة فيها الكثير من التساؤل الحيرة، وقد أحس نظراتي المتتالية إليه.
دخل المدير وبدأت الحصة التي يتعرف فيها الأولياء على الشُّعب وسيستمعون إلى النصائح والتوجيهات لمساعدة أبناءهم في الاختيار.

وبعد مرور الوقت أعلن المدير عن نهاية الحصة بعد أن أجاب على تساؤلات اهتمامات الأولياء. وهمَّالجميع بالخروج إلاّ ذاك الرجل، شعرت أنّه ينتظرني، أصابني الجزع من جهة والسرور من جهة أخرى، جزعت من الحديث معه بعد كل تلك السنين سررت برؤيته...

أتقدّم نحويوحيّاني ثم سألني:

هل نعرف بعضنا؟

لم أجبه ،شعرت برعشة تسري في دمي ثم سألته:

-هل سامي ابنك؟ إنه يشبهك

نعم إنه ابني، اأنت أستاذته؟

نعم، سامي يدرس عندي لغة عربية

ابتسم الرجل ثم قال:

ابني سامي من الصغر لا يحب دراسة اللغة العربية ولا يتقنها جيّدا، عكسي تماما، إنه يشبه عمه كريم في كل شيء

أند هشت، عمه كريم، إذن هذا الرجل يكون أخ كريم، وذاك التلميذ يكون ابن أخيه.!

يا إلهي.... الحمد لله. إنه ليس ابنه.

واستفقت من تفكيريوأنا أجيب الرجل:

-لا عليك سأجعله يحب دراستها، فهي لغة جميلة ويجب عليه تعلّمها اتقانها، إنها جزء من الهوية.

ابتسم الرجل وهو يقول :معك حق

ودّعته واتجهت إلى القسم لتقديم الدرس وبداخلي شعور لا يوصف، إنه أصعب من أن يوصف.

الختام:

لكل بداية نهاية، وبعد كل نهاية هناك بداية جديدة، فالحياة لا تتوقف عند موقف واحد أو عند شخص واحد، وإنما تبقى مستمرة، لذلك عزيزي القارئ انصحك بأن تأخذ من كل نهاية تجربة وإرادة وعزيمة لمواصلة المسير، لأنك ستستمر بكل الأحوال.